

اللغة الفارسيّة و آدابها من منظور شعراء العراق (الزهاوي، والرصافي، والنجفي، والجواهري نموذجاً)

مهرعلي يزدانپناه^١

الملخص

ليست الصلة التاريخيّة بين الفرس و العرب، سواءً قبل الاسلام و بعده، مكتومةً على أهل الثقافة والادب. إنّ حركة التأثير و التأثير المتبادل بين الشعبين، لها تاريخ طويل يمدى هذه العلاقة و أبعادها المختلفة. و الأدب المقارن يهدف إلى كشف هذه التيارات و وصفها وتحليلها. مازالت اللغة الفارسية و مفاخرها مصدر تأثير في الأدب العربي. و كان لها منزلة سامية عند العرب، خاصة عند مفكريهم و كبار أدباءهم. يبدو أنّ الدراسة المقارنة حول العراق، لا تخلو من الفائدة؛ و ذلك بصفتها دولة مجاورة، و مع الأخذ بعين الإعتبار القواسم المشتركة الثقافيّة و العقائديّة و التاريخيّة التي تجمعنا. إنّ اللغة الفارسية و آدابها تحتلّ مكانة سامية عند شعراء هذه الدراسة (الزهاوي، والرصافي، والنجفي، والجواهري) و تُعتبر ينبوعاً استوحى منه الكثير منهم. و قد ألزم معظمهم أنفسهم على تعلّمها. كما يرون أنّ الأدب الفارسي يضارع الأدب الغربي؛ و حتّى أبعد من ذلك في أنّه أكثر قرابة إلى الروح العربي. ليس في خلفيّة أدبهم أو ظاهره أيّ صراع و معاداة على اللغة الفارسية و آدابها أو القومية الفارسيّة. للعلاقات الودّيّة و الإقامات في إيران، من جانب بعض الشعراء دور كبير في توسيع و تعميق هذه التأثيرات. هذه المقالة باعتمادها على المنهج الوصفي و التحليلي تنطرق إلى إجابة لهذا السؤال الرئيسي: ما هي مكانة اللغة الفارسية و آدابها و مفاخرها العلميّة و الأدبيّة في شعر هؤلاء الشعراء؟

الكلمات الرئيسية: الادب المقارن، التأثير و التأثير، شعراء العراق، الزهاوي، والرصافي، والنجفي، والجواهري

١. أستاذ مساعد بجامعة آزاد الإسلامية فرع قائم شهر، قسم اللغة الفارسيّة و آدابها، قائم شهر، إيران.

١. المقدمة

الصلة بين الفرس و العرب، لها جذور تأريخية. و يشهد التأريخ على القرابة و التشابه و تارة التلاحم بين هذين الشعبين في الجوانب الثقافية المختلفة بينهما. يكتب محمد محمدي في مقدمة كتاب فيكتور الكك: «قلما يمكن عرض لغتين مختلفتين فصيلةً و طائفةً؛ و هما يؤثران على بعضهما البعض إلى هذا الحد؛ مما يحدو بالمرء إلى قول هذا الكلام دون أية مرية، بأن أهم لغة غير عربية تركت بصمة كبيرة على اللغة العربية، هي اللغة الفارسية، وأن أهم لغة غير فارسية تركت أثراً على اللغة الفارسية، من جميع الجوانب؛ هي اللغة العربية» (الكك، ١٩٨٦: ٩). كما يعتقد مطهري أيضاً: «لا أحد خدم اللغة العربية كإيرانيين» (١٣٤٩ هـ. ش: ٦٩).

يبين الأدب المقارن عن طريق هذه الدراسات، المكانة الحقيقية للشعوب عند بعضها البعض، و يساعدهم في معرفة ثقافتهم؛ كما يضع تفهيمهم و استيعابهم للآخر على أسس سليمة. و هذا من شأنه أن يؤدي إلى حسن التفاهم و تطوير و تنامي العلاقات الثنائية بينهم. إذا قبلنا أن كبار الشعراء هم مرآة تنعكس فيها أفكار و آمال و حقائق المجتمع الذي يعيشون فيه؛ فعلينا أن نقبل أن دراسة وجهات نظرهم، قد تعبر إلى حد ما عن مواقف شعوبهم. الأدب المقارن لا يكفي بالمقارنة و بالموازنة فحسب؛ بل يسعى إلى استجلاء هذا الأمر في أن أي أثر خُلق عبر التأثير بأدب آخر؟ و ما مستوى تأثير هذه الإبداعات الأدبية على كتاب الشعوب الأخرى؟ (زرين كوب، ١٣٧٨: ١٢٦)

الهدف الرئيسي من هذا البحث، هو دراسة مكانة اللغة الفارسية و آدابها من منظور أربعة كبار شعراء العراق (الزهاوي ١٨٦٣م - ١٩٣٦^١، الرصافي ١٨٧٥-١٩٤٥^٢، النجفي ١٨٩٤-١٩٧٧^٣، الجواهري ١٩٠٠-١٩٩٧م^٤)، إذن الأسئلة المحورية هي كما يلي:

ما هي وجهة نظر شعراء هذه الدراسة حول مكانة اللغة الفارسية و آدابها؟

١- ما هي المكانة التي يحتلها المفاخر العلمية و الأدبية الفارسية في شعر شعراء العراق

الأربع؟

سيرة ذاتية محتتفة حول الشعراء الأربع:

الدراسات السابقة

الملحق الرابع من كتاب الشعر و نمضة الشعور بقلم الدكتور محمد علي آذر شب، يحمل عنوان الجواهري و إيران. يتطرق الكاتب في هذا القسم إلى زيارات الشاعر و ما أنشده حول طبيعة

إيران خلالها، وأيضاً، ما عرضه من الأشعار في مدح قائد إيران عند زيارته (١٤٢٧: ١٤٢ - ١٧٩).

محمد علي آذر شب في مقالة له بمجلة ثقافة التقريب، بعنوان: سؤالان حول الأدب الفارسيّ و جواب الجواهري و سيد قطب، يقوم بنقد و دراسة وجهة نظر الجواهري و سيد قطب حول الأدب الفارسي و كباره في خلق روح الوحدة في العالم الإسلامي (العدد ١٤٢٨، ١).

حنا الفاخوري في زيارة له لايران، سنة ٢٠٠٢م، و في خطاب له نُشر بمجلة الدراسات الادبية، يعبر فيه عن وجهة نظره حول الأدب الفارسيّ؛ و ذلك في معرض عدّه أسماء عديدة من علماء بلاد الفرس الذين يكتبون باللغة العربية، كما يؤكد على أهميّة و مكانة الأدب الفارسيّ و دور الفكر الفارسيّ في إنتاج أفكار العرب الحديثة. «كنت أبدا في عملي أمام فارس، و تجاه ايران؛ كيفما توجّهتُ، و حيثما وُجِدْتُ، ألمس الأثر الايراني و العبقريّة الايرانية موحية و مغنية» (١٣٨١: ٢٣٦-٢٤٢).

كتاب الفرس في العالم الإسلامي، يشتمل على مجموعة من المقالات العلميّة من عدّة باحثين منهم إحسان يار شاطر مع مقالة بعنوان: الفرس في العلم الإسلامي، آن ماري شيميل بمقالة عنوانها: أثر الشعر الفارسيّ في الشرق و في الغرب، و جورج صليبا (يارشاطر و غيره، ١٣٨١: ١٩ و ١٧٣ و ١٩٩).

آذر نوش (٢٠٠٦) في كتابه التحديّ بين الفارسي و العربي في القرون الأولى، يتطرّق إلى مواضيع مختلفة منها معاداة اللغة الفارسيّة في العصور المتقدّمة. شوقى ضيف، محمد تونجي و غيرهما من الباحثين في مجال الأدبين الفارسيّ و العربيّ قد أكدوا على المكانة العالميّة للغة و للأدب الفارسيّ في أقوالهم و كتاباتهم؛ و لكن لا يسعنا المجال أن نتعرّض لجميعها.

١. الزهاوي و اللغة الفارسيّة وآدابها

إنّ أبرز ما يميّز هذا الشاعر و الفيلسوف المعاصر للمنطقة العربيّة بين أقرانه، يعود إلى التركيز على الفكرة في الشعر، فشعره ساحة للصراع و المواجهة بين العلم و الدين، و بين الجحد و الإيمان. إنّه يقتفي أثر أبي العلاء المعريّ حيث إنّه جعل هدفه الرئيسيّ في قرص الشعر، الوصول إلى الحقيقة أو على الأقلّ طرح أسئلة حول الحقيقة يتخللها الشك و اليقين.

أبوه الشاعر و اللغة الفارسيّة

كان والد الشعر يقرض الشعر باللغتين الفارسيّة و العربيّة. و قد حاكى شعراء الفرس في اختياره لقباً أدبياً؛ فلهذا كان قد اتخذ لنفسه لقب فيض، و مع أنّ اللغة العربيّة أصبحت لغتهم الأمّ؛ و ذلك بسبب إقامتهما (الوالد و الولد) الطويلة في العراق العرب، و لكن البعد لم يحج من ذاكرتهم هذه اللغة السلسة و العذبة أي اللغة الفارسيّة؛ و رغم البعاد و عدم الاختلاط بالناطقين بهذه اللغة لفترة ليست بقصيرة؛ فإنّهما قد قرضا الشعر بالفارسيّة من أشعار ملّه محمد فيض الفارسيّة:

انصاف مجو ز طبع ابنای زمان ناسازی و ناسزا بود عادتشان
دورت فکنند باشی ار راست چو تیر بردوش کشندت شوی ار کج چو کمان
(محمدی، ١٩٩٨: ٧١)

تعلم جميل اللغة الفارسيّة عند أسرته التي عاشت في بيعة إيرانيّة فحصلت له المقدرة على أن يتكلم بهذه اللغة و يقرض الشعر بها. و من أشعاره الفارسيّة التي نقلها المرحوم ديوان بيكي في كتابه حديقة الشعرا هي:

بسی رقیب اندر جهان، دلدار کو اندرین گلشن گلی بی خارکو
کوفکند از رخ نقاب، آن آفتاب دیدها را طاقت دیدار کو
(ديوان بیگی شیرازی، ١٣٦٥: ٢ / ١٠٠٦)

لم يكن جميل يعرف اللغات الأوروبيّة، فكانت تقتصر مصادر قراءاته على الكتب و الصحف و ... التي كانت تتمّ تأليفها و ترجمتها باللغات التركيّة و الفارسيّة و العربيّة، إذن، كانت اللغة الفارسية من أهمّ مصادر معلوماته، لسعة علمه بهذه اللغة، و لهذا يمكننا أن نؤمن إلى أيّ حدّ كان متأثراً باللغة الفارسيّة و أدبا العريق و العميق، فإنّ دراسة أشعاره ستكشف عن هذا الأمر.

رحلة الشاعر إلى إيران للمشاركة في ندوة الفردوسي

سافر الزهاوي إلى إيران سنة ١٩٣٤م المصادف (أيلول ١٣١٣ ش) متّجهاً من العراق إلى طهران للمشاركة في ملتقى تأيين الفردوسي. و قد أنشد في هذا الملتقى قطعة شعرية باللغة الفارسيّة بأسلوب الشاهنامة و قد إستهلّها بمذنين البيتين:

به فردوسی از من سلامی برید
که ای شاعر خفته در زیر خاک
پس از عرض حرمت پیامی برید
نهان از نظر دور از جان پاک
(محمدی، ۱۹۹۸: ۷۴)

جمیل و ملک الشعراء بهار

كانت علاقة ودية تربط هذين الشاعرين من كبار شعراء العرب و الفرس - فهناك وجوه شبه بينهما في التعبير عن الظروف السياسية و الاجتماعية المضطربة و النقد اللاذع لها - و قد أنشد ملك الشعراء بهار التركيب بند التالي (البند)، و هذه أبيات منه:

دجله بغداد بر مرگ زهاوی خون گریست
اشک ریزان شد عراق از ماتم فرزند خویش
نی خطا گفتم که شرق از نیل تاسیحون گریست
همچو یونان کز غم هجران افلا طون گریست
مردم شهری به شهر و بدو در هامون گریست
در فراق طبع پاکش لفظ بر مضمون گریست
از غم او هر یکی موزون و ناموزن گریست
زد گریبان چاک نظم و ریخت بر سرخاک نثر
(بهار، ۱۳۶۸: ۱ / ۷۱۱)

جمیل و الخيام

إن كبار شعراء إيران كانوا موضع إعجاب جمیل و كانت له علاقة خاصة بهم، و تأثر كثيراً بالخيام. و يتجلى هذا التأثير بصور مختلفة، و قد تجلّى جانب منه في ترجمته لرباعيات الخيام نثراً و شعراً سنة ۱۹۲۵م و التي تشتمل على ۱۳۰ رباعية، و قام بطبعها مطبعة الفرات سنة ۱۹۲۸م ببغداد. و قد أورد هلال ناجي نموذجاً من ترجمته في كتابه نثراً و شعراً: «إن هذا الفلك الدوّار له قصد سيء بروحي و روحك يريد إربها فتَبَوَّأ العُشْبَ و اشرب فوقه الخمرة إذ لا ييطئ أن ينبت العشب من ترابي و ترابك»

أغنم العشب فهو أحضر غضُّ و ترشّف كأس الحمى عليه
قبلها يبدو العشب أحضر غضاً من تراب يوماً تصيرُ إليه
(ناجي، ۱۹۲۹: ۲۲)

و قد جاءت هذه الرباعية على لسان قارضها هكذا:

مى خور كه فلك بمر هلاك من و تو قصدى دارد به جان باك من و تو
در سبزه نشين و مى روشن مى خور كاین سبزه بسى دمد به خاك من و تو
(الخيّام، ١٣٥٧: ١٥٦)

للأسف، لن يستطيع الباحث أن يعثر على هذا الكتاب في إيران، إذن، يصبح تقييم هذه الترجمة أمراً مستحيلاً، و ليس أماننا سوى خيار واحد في أن نستند إلى كلام عبد الجليل الرشودي و نعول عليه حول ترجمة جميل؛ الذي قال: «على الرغم من سعة علم الزهاوي حول اللغتين العربية و الفارسية إلّا أنه لم يحقّق نجاحاً كاملاً في ترجمة رباعيّات الخيّام و يعود ذلك إلى رتابة ترجمته و التزامه ببحر عروضيّ واحد و هو (الخفيف). (الرشودي، ١٩٦٦: ١٧١) من جانب آخر، يتجلّى تأثر جميل بالخيّام في ديوانه بعنوان الرباعيّات، و جاء هذا الديوان في ٢٠٢ صفحة و يحتوي على ١٢٠٠ رباعيّة، الذي طبعته مطبعة القاموس ببيروت سنة ١٩٢٤. يقول جميل في مقالة له كتبها لمجلة المجمع العلمي العربي: «قد قرضت ١٠٠٠ رباعيّة من هذا الديوان، سنة ١٩٢٤م، في أيام شيخوختي و عوزي و ابتعادي عن الوطن، فلهاذا يُسمع منها صرخات شكوتي و يسهل على المرء أن يرى دموعي الساكبة ما بين سطورها و تظهر فيه عذاباتي». (الزهاوي، ١٩٢٨: ١٢٤-١٢٧)

يحاكي جميل عمر الخيّام في ديوانه هذا، حيث إنّه أنشد كلّ رباعيّة مستقلة عن ما قبلها و بعدها. والميزة الرئيسيّة لهذا الديوان يعود إلى تكرار و إعادة بعض من المضامين التي تعكس روح الشاعر الحزينة، كما هي تعبير عن فلسفته و سرد للأحداث التاريخيّة و السياسيّة في وطنه.

إنّ تأثر جميل بأفكار الخيّام يبدو جليّاً خلال أشعاره، كما هي تكشف للقارئ المكانة السامية للخيّام في رحاب الأدب العالمي؛ ففي قصيدة مطوّلة و بديعة له بعنوان «الثورة في الجحيم»، و التي هي من أهمّ أشعاره، عندما يصل جميل فيها إلى مقطع «الشعراء في الجحيم» يذكر اسم الخيّام بصفة العظيم و ذلك بين حشد من الشعراء مثل: ابونواس، ودانته، وشكسبير، وامرو القيس، و... ثمّ يستطرد في حكي القصة، فيصوّر الخيّام العظيم بصورة خطيب بينهم و هو يدعو هذه الزمرة إلى البهجة و السرور و ينشد عليهم بصوته الحزين من أشعاره الحكيمة، و الشاعر يسعى من خلال ترجمة عدد من أبيات رباعيّات الخيّام أن يعرض جانباً من خطاب الخيّام في «الجحيم»:

ويليهم ابونواس كثيراً و هو ذاك المراححة السكبير
 مثله الخيام العظيم و دنبي و إمام القريض شاكسبير
 و سمعت الخيام في وسط الجمع يُعني، فيطرب الحمهور
 منشداً بينهم بصوت شجي قطعاً من شعر غناه الشعور
 «حبذا حمرة تُعين على البيران حتى إذ ذكت، لاتضير
 و تُسلي من اللهب، فلا يبقى، متى شب، منه إلّا النور
 تشبه الخندريس، يا قوتة ذا بت فقيها للناظرين سرور
 و هي مثل النار تلتظي ولها مثلها لهدى زفير
 ثم آتي بالخندريس لصب و من النار و الجحيم نُفور
 اسقني حمرة لعلني بما أرجع شيئاً مما سبني السعير
 واصليني بالله، أيتها الحمرة، إني امرؤ إليك فقير
 أنت لو كنت في الجحيم بجني لم ترعني نار و لا زمهرير
 حبدا حمرة تعين على البيران حتى إذ ذكت، لاتضير

(الزهاوي، ١٩٨٣: ١٢٦)

جميل و الشخصيات الإيرانية الأخر

كان جميل يلم بما أنتجتها الشخصيات الأدبية و العلمية الشهيرة من الأفكار و الكتابات، و له تلميحات بيّنة في تمجيد و تأيينه لمكانتهم. إن القارئ لهذه القصيدة «الثورة في الجحيم» يرى نفسه بين حشد من الوجوه الشهيرة العالمية علماء و أدباء؛ فالوجوه الفارسية، بفظنتها و بصيرتها تشكل جزءاً كبيراً من هذا الحشد. في هذه القصيدة، يلتقي الشاعر بسقراط و هو في سعي جهنم يحترق بلهبها فيما أفلاطون يمينه يرهف له السمع مسروراً مبتهجاً، ثم نرى إلى جانب سقراط عمالقة مثل: كوبرنيكوس، داروين، هيغل، سينسر، و ... و عندئذ يحدق إلى زرادشت، و مزدك، و ابن سينا، و الراوندي، و خواجه نصير الدين الطوسي، و ينشد:

و زرادشت ثم مزدك يأتي و جموع إمامهم أبقور
 و الحكيم الكندي ثم ابن سينا و ابن رشد و هو الخفي الجسور
 ثم هذا أبودلامه منهم بعده الرواندي ثم نصير

(الزهاوي، ١٩٨٣: ١٢٧)

هذا، و إنّ معظم أفكار الزهاوي السامية، لها نقاط مشتركة وثيقة مع أفكار كبار علماء الفرس الأدبية و العلمية؛ فإذا صرفنا النظر عن موضوع التوارد في الشعر، عندئذ لا يبقى أمامنا سوى الاقتباس منهم أو على الأقلّ تأثره بهذه الأفكار. و هذا غييض من فيض فيما يلي:

المثل الفارسي الشهير يقول: «هر چه بگندد نمکش می‌زنند، وای به روزی که بگندد نمک» و قلّما أحد لم يسمع هذا المثل؛ لجميل بيت في المعنى نفسه، يقول:

«يقولون إنّ الملح يُصلح فاسداً
فما حيلة الانسان إن فسد الملح»
(الزهاوي، ١٣٢٧: ١٥١)

أو شعر سعدي الشهير الذي يقول:

بنی آدم اعضای یکدیگرند که در آفرینش ز یک گوهرند
چو عضوی به درد آورد روزگار دگر عضوها را نماند قرار
(سعدي، ١٣٨٥: ١٩)

و هو ينشد في هذا المعنى نفسه، قريباً كلّ القرب ممّا قاله سعدي:

«إذا كان في بيت مريضاً عزيزه فكان ذاك البيت كلّهم مرضى
(الزهاوي، الكلم المنظوم: ١٥١)

جميل و انعكاس ظروف إيران السياسيّة و الاجتماعيّة في الأدب الفارسيّ

إنّ إيران بصفتها دولة كبيرة و هامة في المنطقة، و أيضاً بسبب ما تجمعها مع العراق من نقاط مشتركة، تاريخياً، و جغرافياً، دينياً، وثقافياً، و أدبياً، كلّ هذه أدّت إلى أن تترك أحداث إيران السياسيّة و الاجتماعيّة أثرها على العراق و تشكّل نواة التطوّرات في العراق. الحركة الدستوريّة و التعديلات الدستوريّة و التشريعيّة التي حصلت في إيران، شكّت طريقها إلى الأدب الفارسيّ - بسبب انعكاسها الواسع في شعر شعراء عصر الثورة الدستوريّة، خاصّة ملك الشعراء بهار - فهذه الأحداث كلّها لم تخف عن الزهاوي. فهو في قصيدته «أنين الأوطان» يتحدّث في الوهلة الأولى عن المشاكل التي يعانيتها الشعب العراقي؛ ثمّ بعد ذلك يسترعي انتباه شعبه إلى ما تجري من الأحداث في إيران و يطلب منهم أن ينظروا إليها؛ في أنّها كيف تحررت من الذلّ و الهوان؟ و تابعت التعديلات التي أدّت إلى رفع شأنها، و أنّها أقبلت على مجس الشورى و رفعت بيرق

العدالة، و أصبح الفقير و الغنيّ فيها يتمتّعان بحقوق متساوية. إذن، ينكشف هذا الأمر أنّ أحداث إيران لها تأثيرها على أبناء العراق بشكل و آخر:

من خطة فيها أذى و هوان	أنظر إلى ايران كيف تملّصت
لله ماجاءت به ايران	جاءت باصلاح يعليّ شالها
فيه لرأي الأمة السلطان	عمدت إلى الشورى فسنت مجلساً
حتى استوى المسكين و الخاقان	رفعت لواء العدل فوق بلادها

(الزهاوي، ١٣٢٧: ١١١ - ١٠٩)

٢- الرصافي و اللغة الفارسية و آدابها

إنّ إيوان كسرى كان موضع اهتمام الأدباء في الأديبين الفارسي و العربي؛ فكلّ تطرّق إليه بمنظاره الخاصّ و من جوانب مختلفة. و الرصافي كأقرانه البحري و الخاقاني اعتبر منه كثيراً؛ إنّه مع تذكيره بالضميم الذي وقع على الإيوان، يسمع من فمه الناطق و المخدّر صوت «البقاء لله و حده»:

دكّه الدهر بالخطوب وهدّه	إنّ هذا الإيوان «ايوان كسرى»
صائح: البقاء لله و حده	فهو يحكي فتحاً لثغر نذير

(المصدر نفسه، ١٩٩٩: ٤٧٦/٥)

و الشاعر في مكان آخر من القصيدة يصف قصر إيوان كسرى بعلاه و يدعو نفسه إلى التجلّد و التجمّل، لأنّ طبع الدهر جُبل على دكّ و هدم الصروح العاليات، فالدهر شهد قبل هذا على انهيار و ذلّ و هوان قصور كانت تنطح بذراها سحب السماء:

و عزاءً فلست أول قصر	نكّس الدهر من ذراه العوالي
قد تداعى من قبل «ايوان كسرى»	بعد أن طال شاهقات الجبال

(المصدر نفسه، ١٩٩٩: ٩١/٥)

فإنّ إيوان كسرى في خلد الشاعر هو من أفضل النعم التي يمكن سبحانه أن يهبه عبداً من عباده. الشاعر في قصيدة له بعنوان «بداعة و لا خلاعة» ينسى وجوده أمام المحبوبة فتنبهر

عيونه عيونته بجمالها و بمفاتها؛ فيصف جمالها بوصف يتخطى حدود الصراحة؛ و لكي عن مدى هذه الجاذبية الساحرة للمحبوبة يقارنها بهذا الإيوان افتتانا بجمالها؛ كأن أعظم و أهم شئ يدور ببالم هو «إيوان كسرى»:

لو رآها كسرى الملوک لخلّى ملكه تاركاً لها إيوانه
(المصدر نفسه، ١٩٩٩: ٢٧٠/٤)

و تارة يأتي ذكر إيوان كسرى في شعر الرصافي تعبيراً عن اعتزازه بالفتوحات العربية في الأزمنة الغابرة و ذلك إلى جانب ذكر الفتوحات العربية الأخرى كفتح اسبانيا و الروما؛ يقول الرصافي في قصيدة «الأمة العربية ماضيها و ما قبلها»:

و هم الألى فتحوا البلادَ و نشروا رايات معدلة على قُطامها
و هم الألى خضعت لهم أممُ الورى من تركها طراً إلى إسبانياها
و «الروم» قد نزلت لهم عن مُلكها و «الفرس» عمّا شيد من إيوانها
(الرصافي، ١٩٩٩: ٣٣/٢)

الرصافي و ابوبكر الرازي و مدينة «ري»

يمدح الرصافي محمد بن زكريا الرازي و يعرفه في قصيدة مطوّلة له يصل عدد أبياتها إلى مئة بيت، و يستهلها بعدد مفاخر قومه في الماضي، ثم بعد ذلك يشكو من جهلهم و إهمالهم و حمولهم و ...، و يعتبر الرازي من أسلافه؛ و عندما يلتقيه في رحلته التاريخية و يُبدي له الإجلال الإكرام:

«ألا لفتة منا إلى الزمن الخالي فنغبط من أسلافنا كلّ مفضل...
تطلبتمو صفو الحياة و أنتمو بجهل؛ و هل تصفو الحياة لجهال؟
قعدت بأوساط القرون فجاءني «ابوبكر الرازي» فقامت لإجلال»
(المصدر نفسه: ١٩/٥)

ثمّ ينتقل إلى موطن الرازي «الري» و يتطرّق إلى مكانة «الري» العلميّة و دور المأمون الخليفة العباسيّة في إزدهار العلوم الإسلاميّة:

«تولّد عام الأربعين الذي انقضّى إلى «زكريا» ينتمي إنه له على حين كانت بلدة «الري» غادة بما حل درس القوم طبّ و حكمة و كانت نفيسات الصائع عندهم و ما كان هذا الحال في «الري» وحدها و كانت يد «المأمون» في ذلك أحجّلت

لثالث قرن ذي مائــــر أزوال
أب تاجر في «الري» صاحب أموال
إلى العلم تعطو جيدها غير معطل
و فلسفة فيها لهم أيّ اغيال
يحاولها ذوالفقر منهم و ذو المال
بل الحال في البلدان طرّاً كذا الحال...
لسان العلاء في شكره أيّ إحجال

(المصدر نفسه: ٢٣/٥ و ٢٢)

و بعد ذلك، يتحدّث الصافي عن النمو العلمي لدى الرازي و عن سعة معرفته حول العلوم المختلفة كالموسيقى و الطبّ و الفلسفة وغيرها، كما يعرض عمل الرازي الدؤوب و ولعه في هذه المسيرة، و يتابع رحلاته إلى الشام، و مصر، و الأندلس، و بغداد، و ... بحثاً عن العلم و الخبرة، فينشد أبياتاً عنها:

«لا تنس للرازي الكحول فإنّه
و من عمل الرازي انعقادٌ لسُكّرٍ

(المصدر نفسه: ٣١ و ٣٠)

وينتقل الشاعر إلى عدّ فضائله الأخلاقيّة، كما ينشد حول قيمة الأخلاق للعلماء و حول هذه المسألة بأنّ الرازي مع هذه المكانة العلميّة التي أحرزها، استطاع أن يتّصف بالأخلاق و بالشرف و بالعقيدة السليمة أيضاً:

«و لو وازن العلمُ الجبالَ و لم يكن
و إنّ المساوي و هي في خلق عالم
و لكنّما «الرازي» قد ازدان علمه
و كان سليماً في العقيدة قلبه

له حسن خلق لم يزن وزن مثقال
لأقبح منها و هي في خلق جهال
بأحسن أخلاق، و أشرف أفعال...
بعيداً عن إلحاد ليس بختّال»

(المصدر نفسه: ٣١ و ٣٠)

و في آخر المطاف يتحدث الشاعر عن حبّ الرازي إلى عائلته و موطنه، و رجوعه إلى الري كما يحدثنا عن المنصب الذي شغله بصفته طبيباً للأمير منصور بن اسحاق والي خراسان و عن موته و آثاره و ما خلفه من الأموال. و يعبر عن اعتذاره عن العالم الكبير و عن قصور ألفاظه و كلماته في ذكر محامده، إلى أن ينهي قصيدته بيتين من الرازي، فتغمره الدهشة بما يحمله هذان البيتان من الفكرة القويّة، فيجعلهما مسك ختامه:

ولمّا قضى «الرازي» ببغداد برهة	مضى قافلاً للريّ شوقاً إلى الآلِ
فلمّا أتى تلك البلاد غداً بها	طبيباً لدى «المنصور» صاحبها الوالي
ولا انتهى نحو الثمانين عمره	قضى نحوه من غير مال و أنسال... .
و أجعل هذا الشعر مسكاً ختامه	بما قال في بيتين معناهما حالي
«لعمري و ما أدري وقد آذن البلى	بعاجل ترحال إلى أين ترحالي
و أين محلّ الروح بعد خروجه	من الهيكل المنحلّ و الجسد البالي»

(المصدر نفسه: ٣٤)

٣- النحفي و اللغة الفارسيّة و آدابها

يتخذ الشاعر قراراً حازماً على أن لا يذهب وقته هباءً، إذن أكبّ على تعلّم اللغة الفارسيّة دون أن يتوانى، و عزم على تدريس اللغة العربيّة في المدارس الإعداديّة، بعد أن تعلّم اللغة الجديدة صار عضواً لاتّحاد اللغة و الأدب الفارسي، و أيضاً لدار الترجمة و النشر. و في فترة إقامته بإيران (١٩٤١ - ١٩٤٨م) ترجم النحفي كتاب «رباعيّات الخيّام» إلى العربيّة، كما قام بترجمة «علم النفس» لعلي الجارم و أحمد أمين إلى اللغة الفارسيّة لتدريسه في دار المعلمين. ممّا يلفت الانتباه، هو تأثره بأفكار الأدباء و مفكرّي الغرب بمساعدة اللغة الفارسيّة و الكتابات المترجمة إلى هذه اللغة؛ على سبيل المثال، عندما كان يقرأ شعراً مترجماً من الشاعر الإيطالي «تريلو» في مجلّة بهار، السنة الثانية، يعزم في الحال على ترجمته إلى العربيّة، و هذه أبيات منه:

انّ ربّ الصبح مذ رام الهنا يتمّ الروضة وقت السحر

فرأى في تاج ورد احمر

قطرات لمعت كالدرر

يتباهين بطيب العنصر

و له قلن ألا احكم بيننا آينا بالمجد أولى خبر ...

(النحفي، ألحان الهيب: ٩٥)

كشف موهبة النحفي الشعرية على يد ملك الشعراء بهار

إن الشاعر خلال تواجده في إيران ينشئ علاقة ودية حميمة مع ملك الشعراء بهار، و يعترف النحفي بنفسه أن أول من ألم بروحه الشاعرة و اكتشفها هو ملك الشعراء بهار، و بهار، يرى في روحه ما يشير إلى ذوقه الشعري:

«و قال مليك الشعر إني شاعر وقلت ولكن لم أجد حين أنظم

فقال: ولكن رغم ذا روح شاعر لديك و منك القول عنها يترجم»

(المعوش، ٢٠٠٦: ٦١)

النحفي و الخيام و تعريب رباعياته

إن الفلسفة التي يبثها الخيام في ثنايا رباعياته، خلقت منه شاعراً عالمياً فاعلاً في الشرق و الغرب. هناك في العالم العربي شخصيات كبيرة مثل: وديع البستاني، جميل صدقي الزهاوي، احمد رامى، حامد الصراف و... بادروا إلى ترجمة رباعيات الخيام. بداية، تعرّف الشاعر إلى رباعيات الخيام عبر ترجمة البستاني الذي لم يكن يجيد اللغة الفارسية و قد قام بترجمتها باعتماده على النص المترجم بالإنجليزية؛ إذن، في فترة إقامته بإيران و بعد أن توفرت له الظروف حتى يتعلّم اللغة الفارسية إلى حدّ الإتقان، عزم جميل على ترجمتها. و بعد إنهاء الترجمة، يعرضها إلى أدباء إيران فيلقى منهم الإعجاب و الإكرام. يقول ملك الشعراء بهار حولها: «على الرغم من أنّ قسماً من هذه النصوص المترجمة تضارع النسخة الأصلية تماماً، و لكنّها تفوق النسخة الأصلية بلاغة و أسلوباً، كهذه الرباعية:

لم يحظَ بالدهر في ورد الحدود فتسى إلا و كابد من أشواكه العطبنا

أنظر إلى المشط لم تبلغ أنامله أصداع أغيد ما لم ينشعب شعبنا

در دهر کسی به گل عذاری نرسید تا بر دلش از زمانه خاری نرسید

چون شانه که تا سرش به صد شاخ نشد دستش به سر زلف نگاری نرسید

(خيام، ١٣٧٤: ١١٧)

أو هذه:

أيَا فَلَكَأَ يَرَبِّي كُلَّ نَذَلٍ و ليس يدورُ حسبَ رضا الكريمِ
كفَى بكِ شِيمَةً إِنْ رَحَتِ تَهْوِي ذِي شَرَفٍ وَ تَسْمُو بِاللَّيْمِ»

(برهومي، ١٩٩٣: ٨٦)

أما فيما يتعلق بتأثره بالخيّام، فهو يعترف صراحة بأنه متأثر باللغة الفارسيّة؛ إلّا أنّه قد حافظ على أصالته العربيّة دائماً: «الحقيقة أنني تأثرت بالفكر الفارسي؛ إلا أنّ شخصيّي العربيّة الأصلية ظلّت واضحة» (المعوش، ٢٠٠٦: ٤٥).

يتفاعل النجفي مع الخيّام و رباعيّاته تفاعلاً فاعلاً، و يتأثر به أشدّ التأثر، و يعتبر روحه تلميذاً لروحه، و يرى في هذه القرابة ما يجلب لروحه السكينة، كما يرى أنّه مديناً بهذه الاحتكاك الروحيّ في نجاح ترجمته «رباعيات خيام»:

أخيّام قد أرسلتَ روحك هادياً لروحي في إتقان هذي التراجم
فإني تلميذ لروحك في الأسي أمارسه من قبل حلّ التمام
لئن نلت من بعد التشائم لذّة فمانلت من دنياي غير التشائم
تخيّرت في عقل غريب مسالك بعدت به حتى عن الصحب و الأهل
أرتاب في عقلي، و عقلي عن الوري أراه غريباً، لاغريباً عن العقل!

(النجفي، ١٩٨٣: ٣٤١ و ٣٤٢)

وفي شعر «لا كان شعر و لا خمر و خيّام»، ينسب النجفيّ سكره إلى خمر الخيّام، و يعدّه مصدر إلهامه، و يعرض لنا قراءتين من أشعار الخيّام: إحداهما القراءة الخاطئة لسواد الناس الذين يعتبرونه داعياً إلى شرب الخمر و معاقرة فلهدا هم يتجهون إلى الخمّارة؛ والأخرى و هم خيار القوم، يرون في كوؤس شعره ما يجلب الحياة فيتجرّعون من كأس خمره:

قد كنت من خمر الخيّام منتشياً و أنّما خمر الخيّام إلهام
يظنه الجاهل المسكين منغمراً في الراح يطفو به في لجّه الجام
فراح يُدمن سكرًا باسمه نفرٌ كأنهم اذ تدار الكاس، أنعام
إن كان هذا مثال الشعر في نفر لا كان شعرٌ و لا خمرٌ و خيّام
ففتشوا عنه في الحانات و انصرفوا و كلُّ ما عرفوه عنه، أوهام
للّه درك يا خيّام في كلّم بجيا بما الخاص بل يفنى بما العام

(النجفي، الحان اللهب: ٤٠)

و في نفس الوقت، يعتبر النجفي رباعيات الخيام سبباً لإضلال ضعاف العقل من الناس و مجلبة للبلابا و الحن:

رباعيات الخيام كم جلبت إلى ضعاف الحجي، بلاياها

(المصدر نفسه: ٦١)

النجفي و بروين اعتصامي

كان النجفي على معرفة تامة بآثار أغلب الشعراء الفارسية، منهم بروين إعتصامي. فشعرها الشهير بعنوان «اي مرغك» قد أخذ بلبّ الشاعر و بقلبه أخذاً و عزم على ترجمة جميعه؛ و هذه أبيات منه:

اي مرغك خرد، ز آشيانه	پرواز كن و پريدن آموز
تا كي حرکات كودكانه	در باغ و چمن چميدن آموز
رام تر نمی شود زمانه	رام از چه شدی، رميدن آموز
مينديش كه دام هست يا مه	بر مردم چشم، ديدن آموز
شور روز به فكر آب و دانه	هنگام شب، آرميدن آموز

(اعتصامي: ٢٩٢-٢٩٠)

و ترجمته العربية هكذا:

المهضي فرخة الحمام و طيري	ودعي العيش في مهاد الوكور
فمتى تتركين لعبك في العش	لتمشي في الروض مشي الوقور
ليس يبقى لك الزمان هناء	فاحذري وثبة الزمان الغرور
لاتخافي ماعشت أشراك صيد	إن تعوّدت فتح عين البصير
عاجلي في النهار تحصيل قوت	و استريحي وقت الدجى الديجور

(نجفي، ألحان الالهيبي: ٩٤-٩٢)

النجفي و شعراء ايران الآخرون

لم يكن النجفي على معرفة كاملة بالخيام فحسب؛ بل كانت له صلوات مع غيره من شعراء إيران في ساحة الأدب الفارسي، مثل سعدي، بابا طاهر، صائب التبريزي و... و قد ترجم أبياتاً إلى العربية متأثراً بآثارهم.

إنّه ينشد البيتين التاليين متأثراً بما قاله بابا طاهر:

گلی کشتم پی الوند دامان آوش از دیده دادم صبح و شامان
وقت آن بی، که بویش و امو آیی بره بادش بره سامان بسامان
(بابا طاهر، ۱۳۸۵: ۲۹)

غرستُ بأذنی سفح «الوند» وردة تعهدتھا عن ماء عینی سباکب
فمذ آن أن یاتی لنحوي عطرها إذا الريح تُذري عطرها کلَّ جانب
(النحفي، ۱۹۸۳: ۳۸۵)

كما ينشد ما يلي مستلهماً من أبيات الشاعر نفسه:

دلَم از عشق خوبان گنج و ويجه مژده برهمم زخم خونابه ريجه
دل عاشق مثال چوب تر بی سری سوجه سری خونابه ريجه
(بابا طاهر، ۱۳۸۵: ۳۴)

لي بالملاح فؤاد واله كَلِفٌ و حين أُطبق جفني بالدمما يكِفُ
قلب المشوق كعودٍ أخضرٍ طرفٌ بالنار يذكو و يجري بالدمما طرفُ
(النحفي، ۱۹۸۳: ۳۸۶)

و أيضاً ينشد متأثراً بهذه الأبيات من سعدي الشيرازي:

صاحبدلی به مدرسه آمد ز خانقاه بشکست عهد صحبت اهل طریق را
گفتم میان عالم و عابد چه فرق بود تا اختیار کردی از آن، این طریق را
گفت آن کلیم خویش بدر می برد ز موج وین جهد می کند که بگردد غریق را
(سعدي، ۱۳۸۵: ۵۶)

عارفٌ عافٌ مسلك النُّسك للعلم و خلّی رفاق ذاك الطريق
قلت ما الفرق بين ذين الفريقين إذ اخترتْ هُج هذا الفريق
قال لي همُّ ذاك تنجية النفس و ذا همّهُ نِجاة الفريق
(النحفي، ۱۹۸۳: ۳۸۷)

و هذا بيت آخر يقرضه متأثراً بهذا البيت من السعدي:

خر عیسی گرش به مکه برند چون بیاید هنوز خر باشد
(سعدي، ۱۳۸۵: ۱۰۵)

لو أنّ قوماً يذهبون لمكة بحمار عیسی عاد و هو حمار
(النحفي، ۱۹۸۳: ۳۸۷)

و مرة أخرى متأثراً بهذه الأبيات من السعدي يقول:

گلی خوش بوی در حمام، روزی رسید از دست محبوبی بدستم
بدو گفتم که مشکى يا عبیری که از بوی دلاویز تو مستم
بگفتا من گلی ناچیز بودم ولیکن مدتی با گل نشستم
کمال همشین بر من اثر کرد و گرنه من همان خاکم که هستم
(سعدی، ۱۳۸۵: ۵)

حیاتی فی الحمام حیّ بطینة یعید شذاها مکمد القلب جدلانا
فقلت، عبیر أنت أم مسک ناشق فقد عاد قلبي من أریجک نشوانا
فقلت لعمري لم أکن غیر طینه ولكن جلیسی أصبح الورد أحيانا
فأثر بي طيب الجلیس کما ترى و إلا فذاك الطین أصلي کما كانا
(المصدر نفسه، ۱۹۸۳: ۳۸۸ - ۳۸۸)

إته تأثر بصائب التبریزی أيضاً، و ينشد متأثراً بهذا البيت منه:

ما از این هستی ده روزه بجان آمده ایم وای از خضر که زندانی عمر ابد است
(تبریزی، ۱۳۷۴: ۳۰۹)

و قد أنشد الشاعر:

إنّي سئمت من الحياه ولم يطل منها الأمد
لهفي على الخضر الذي حكموه في عمر الأبد
(النجفي، ۱۹۸۳: ۳۸۹)

النجفي و الخيال الفارسي

يسأل الشاعر في قطعة شعرية بعنوان «اللفحات» عن حكم و رأي الناس حول شعره، ثمّ يسمع الردّ؛ بأنّ الناس اختلفوا حول شعره و كلّ فئة لها حكمها الخاصّ حوله؛ أما المسألة الهامة تكمن في أنّ الشاعر يعتبر بروز الخيال الفارسي و تأثره به، من أبرز الأحكام التي صدر عن الناس بشأن شعره. يبدو أنّ هذه التهمة قد وصلت إلى أسماع الشاعر حيث يطرحها هنا. على أية حال، إقامته في إيران التي طالبت ثماني سنوات و إتقانه للغة الفارسية و أيضاً، إقباله على الخوان الواسع للأدب الفارسي الذي ينعم بالفكرة و الخيال؛ هو ممّا يقرب هذه المسألة

إلى الحقيقة أكثر منها إلى الزعم. و الشعر الذي يشير بصورة صريحة إلى هذا الأمر، هو كما يلي:

سألت خلّي رأي الورى بشعري يوماً
و قلت ماذا يقولون عنه مدحاً و ذمّا
قال اختلفنا فكلّ عليه أصدر حكما
فقال قول، خيالاً لأهل فارسَ يُنهي

(النحفي، اللفحات: ١١٦ و ١١٥)

٤- الجواهري و اللغة الفارسيّة و آدابها

في الحقيقة، إنّ البحث و النقاش حول الجواهري و تواجده في إيران سيكشف عن حقائق أدبيّة و ثقافيّة كثيرة بين البلدين إيران و العراق. يظهر أثر الثقافة و التأريخ و الأدب و الطبيعة لايران في أفكار و رؤى الجواهري بصورة قويّة. كان الشاعر يعرف اللغة الفارسيّة عزّ المعرفة، و قد سافر إلى إيران ثلاث مرّات و ذلك لقضاء العطلة الصيفيّة أو الإقامة فيها. إنّ الطبيعة في «إيرانيّات» الشاعر قد احتلّت حيزاً كبيراً من أشعاره. مدح قائد إيران آية الله الخامنه اي. و ردّ فعله تجاه أحداث إيران و معرفة مكانتها السامية لغة و أدباً و ما تكمن في أدبها من الأفكار العميقة و غيرها من الأمور، كلّها قد انعكست في شعر الجواهري.

الجواهري و اللغة و الأدب الفارسي و كباره

إقامة الشاعر في الصيف سنتي ١٩٦٤ و ١٩٦٦، قد أدّت إلى - كما يعترف الشاعر نفسه- إلى أثر عميق في وجدان الشاعر من الجانب الأدبيّ؛ الأجواء الروحيّة و النفسيّة للإيرانيين، كانت تتناسب مع نفسيّة الشاعر؛ الجوّ الودّيّ و مناخ إيران المعتدل و طبيعتها الخلّابة قد تركت بصماتها على روح الشاعر و قرّبها إلى روح حافظ و السعدي و الخيّام و الفردوسي و نظامي و عارف و ابرج و ...، و استطاع الشاعر أن يتعرّف إليهم و يشاركهم الذوق و الأدب و الأحاسيس و الآمال و الميول: «لقد كان لوجودي في طهران عاصمة الفرس مدّة الصيف سنة ٦٤ و ٦٦ الفضل الأدبي الذي لاينسى. فقد لطف أوضاع هذه الممكة الروحية... و استطاعت... التأثير في هذه الروح العراقية تأثيراً قرّبها من روح حافظ وسعدي و ... و

عرفانهم لحدّ المشاركة في الذوق والفن والمشاركة للعواطف والميول» (الجواهري، ١٩٧٣: ١/٣٦٨).

النقاش في الأوساط الأدبية و بين الأصدقاء خلال هذه الفترة - كما يقول الشاعر نفسه - غير رؤية و نظرة الجواهري إلى الأدب الفارسي، و قد انتهى إلى هذه النتيجة الحتمية وهو يعود إلى موطنه، في أنّ أبواب الشعر الخالد القائم على أساس الوحي و الإلهام و القرينة الشعرية ستكون مفتوحة على مصراعيها في وجه الشعر الفارسي أكثر منها أمام الشعر العربي: «لَمَّا كُنْتُ فِي مَدَّةِ بَقَائِي هَذَيْنِ الصَّيْفَيْنِ هُنَاكَ مَضْطَرّاً إِلَى التَّحَدُّثِ عَنِ الْأَدَبِ الْعِرَاقِيِّ مَعَ شَذُوذٍ مِنْ أَدْبَاءِ الْفَرَسِ... وَ طَبَعاً كَانَ يَجْرُّ ذَلِكَ إِلَى التَّحَدُّثِ عَنِ الْأَدَبِ الْفَارِسِيِّ وَ الْمَقَابِلَةِ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ تَرْبِهِ وَ نَسَبِيهِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، فَقَدْ عَدْتُ وَ أَنَا مُعْتَقِدٌ، بِالذَّلِيلِ وَ الْبُرْهَانِ، أَنَّ أَبْوَابَ الشَّعْرِ الْخَالِدِ مِنْ وَحْيٍ وَ إلهَامٍ وَ قَرِينَةٍ ثَرَّةٍ هِيَ مُفْتَوِّحَةٌ فِي وَجْهِ الشَّعْرِ الْفَارِسِيِّ أَكْثَرَ مِنْهَا وَ وَجْهِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (المصدر نفسه: ٣٦٨ - ٣٦٩).

و الملفت للنظر، هو ما يستخلصها الجواهري إثر تعرّفه إلى الأدب الفارسي، و هو أنّ أهل النخوة من الأدب العربي و من يطالبون منهم التغيير و التطوّر و يسعون إلى خلق قفزة و نشاط في الأدب العربي؛ فجدير بهؤلاء أن لا يقتبسوها من روح لندن و باريس و مسكو و روما التي لا تتناسب مع روحهم، و بدلاً من ذلك من الأفضل أن يقتربوا من الروح الشرقية و الطهرانية و يحتكوا بها و يستفيدوا من نبعها: «و معتقد أيضاً بوجوب انصراف الغيورين على الأدب العربي... إلى تقريب هذه الروح الشرقية، روح طهران من الروح العربية، عوضاً من جلب ما لا يتناسب و آياه من روح لندن و...» (المصدر نفسه: ١ / ٣٦٩).

يدعو الجواهري الشعبين الإيراني و العراقي إلى تواصل و تفاعل متواصل و مستمرّ و يقول عن دوافعه في ذلك: «خصوصاً أنّ القرب بين قواميس اللغتين، و اندماج بعضها في بعض، و وجود العارفين بهما من كلا الطرفين أكثر من أي لسان آخر، تجانس الأمتين في كثير من الأخلاق و العادات، كل ذلك و غيره مما يشجع هذه الفكرة و يرغب فيها» (المصدر نفسه: ١/٣٦٩).

إنّ ترجمة أشعار حافظ إلى العربية بغية استفادة العرب من الشعر و الأدب الفارسي و انطلاق احتكاك الأدب الفارسي بالأدب العربي، هي ممّا خلّفها الجواهري. و إن كان

الجواهري قد سَمَّى هذه الترجمة «من كنوز الفرس»؛ و لكن هي ليست إلّا ترجمة من أشعار حافظ فحسب. و هذه أبيات منها:

بلبلٌ يحملُ في منقاره وَرَقَةٌ من وردةٍ ذاتِ جمالِ
و هو لا ينفك في استعراضها ذا زفيرٍ و نُباحٍ متعالِ
قلت: ما أوجب ذالحنّ وما نسبة الوصل من الدمع المذال
قال: هذا سنّةٌ توجهها جلوة المعشوقِ في يوم الوصال

(المصدر نفسه، ١ / ٣٧١)

ايبات حافظ تقول:

بلبلی برگ گلی خوش رنگ در منقار داشت و ندر آن برگِ نوا خوش ناله های زار داشت
گفتمش: «در عین وصل این ناله و فریاد چیست؟» گفت: «ما را جلوه ی معشوق در این کار داشت»

(حافظ، ١٣٧٨ : ١٠٨)

إذن، كان الجواهري على معرفة شاملة بالأدب الفارسي و قد تعرّف إلى هذه اللغة بكلّ إمعان و دقّة. إنّه كان يشيد بحُبّ الإيرانيين إلى العلم و الأدب و كان تأخذه الدهشة من هذا العدد الهائل من الأدباء و الظرفاء الذين ترعرعوا و تربّوا في هذه البقعة من الأرض:

حَبِّدًا حُبُّكُمْ من معهدٍ كم نما فيه أديب و ظريف

(الجواهري، ١٩٧٣ : ١ / ٢٦٤)

الإعتبار من قصص الأدب الفارسي

الجواهري في قصيدة «الأحاديث شجون» يعرض فيها صورة جديدة عن ايران و أهلها، و يعتقد إذا كان أهلها قد رحلوا عن (فرهاد و شیرين) فلا يعني ذلك عدم حُبِّهم إليهما؛ بل الذنب ذنب الأيام، فهما كانا يمثّلان الحبّ العفيف و لم يدتس رداءهما بالفساد؛ و الموت وحده أدّى إلى وصال فرهاد و شیرين، و لم يبق منهما سوى طلل؛ نعم، فطبع طاحونة الأيام أن تطحن من يدخل في رحاها.

حَبِّدًا فارسُ من مُستوطنِ عافه الأهلُ و خلّاه القطينِ
أفهد قصرُ «فرهاد» الذي جمعته مع «شیرين» المنونِ
مثلاً للحبِّ دوراً طاهراً لم يَشُبْ أثوابه البيضَ مُحجونِ
ليس منه غيرُ رسمِ دارسِ مُخبرٍ أن رَحَى الدهرِ طَحُونِ

(الجواهري، ١٩٧٣ : ٢٧٠)

النتيجة

اللغة الفارسية و آدابها من منظور شعراء هذا البحث (الزهاوي، الرصافي، النجفي و الجواهري) لهما مكانة سامية و هما مصدر الهام لكثير منهم، و قد ألزم معظمهم نفسه على تعلّم اللغة الفارسية. من وجهة نظرهم إنّ الأدب الفارسي ليس أقلّ مستوى من الأدب الغربي؛ بل أبعد من ذلك؛ فيرون أنّه أقرب إلى الروح العربيّة. إنّ العلاقات التي نشأت بين بعض من شعراء العراق و اللّغة الفارسيّة و أيضاً مكوّنهم في إيران أدّى إلى تعميق هذه التأثيرات و هذا الأمر يستحقّ التأمل. والأكثر طرفاً هو أنّ ثلاثة أرباع من شعراء هذا البحث، لم ينهلوا من معين الأدب الفارسي فحسب، بل بادروا إلى ترجمة آثار شعراء إيران الكبار و لعبوا الدور الوسيط في نقل أفكار مفاخر الإيرانيين إلى العالم العربي؛ و هذا الأمر نفسه يحتاج إلى دراسة مستقلة في الأدب المقارن. و من جانب آخر، كان قد لعب الأدب الفارسي دور الأدب الوسيط لهم، لأنّ معظمهم، خاصّة الزهاوي و النجفي، تعرّفوا عبره الى الأدب. و المسألة الهامة الأخرى التي تبرز خلال دراسة كتابات هؤلاء الشعراء، هي أنّنا لا نشاهد في خلفيّة آثارهم أيّ صراع و معاداة مع اللّغة و الأدب و القوميّة الفارسيّة، المعادة التي نشهدها في خلفيّة الشعر و النثر الفارسي المعاصر مع العنصر العربي، و أشخاص مثل «بلوندل سعد» قد أشار إلى هذا الموضوع. إنّ شعراء هذا البحث مثل الرصافي، يؤمن بالتأريخ المشترك والإنجازات المشتركة بين الفرس والعرب، كما أنّ الجواهري يشاطره الرأي في القرابة الثقافيّة بينهما.

إنّ معظم أفكار كبار الأدباء و العلماء الإيرانيين مثل: الخيام، الفردوسي، بهار، ابن سينا، الراوندي، خواجه نصيرالدين الطوسي، زرادشت، مزدك و ... قد أثر على رؤية و فكرة الزهاوي و فتح طريقه إلى ديوانه و احتلّت حيزاً كبيراً فيه. كان الزهاوي و والده يتقنان اللّغة الفارسيّة و قد قرضا الشعر بهذه اللّغة. ينظر الزهاوي إلى اللّغة و الأدب الفارسي نظرة الإجلال و الإكرام. و يضع كبار مفكّري إيران في رتبة سوية مع غيرهم من كبار الغرب، مثل:سقراط كوبرنيكوس، هيغل، سينسر و... و نظراً لمعرفته الشاملة باللّغة الفارسيّة و مضامينه الشعريّة المشتركة مع شعر شعراء الفرس، يبدو أنّ بعضاً من هذه المفاهيم السامية للشعراء الفارسيّة قد دخلت بصورة مقبسة في أشعاره. الحركة الدستوريّة و التعديلات التي حصلت في إيران دستوريّاً و تشريعياً و التي ظهرت في الشعر الفارسي بصورة بارزة، كلّ هذه

الأمر أدت إلى أن الشاعر يلمّ بمكانة إيران العالميّة التي كانت في طريقها إلى الرقيّ و إلى أن يتحدث عنها و من ثمّ يشجّع الشعب العراقيّ إلى أن حذوهم. إيوان كسرى و هدمه من قبل الأعراب، يشير إلى عظمة العرب و الإسلام في يحدو الرصافي. و هو من خلال الدروس و العبر التي يأخذها من الإيوان- و هذه ليست ظاهرة جديدة- يشير إلى ضيم حكّام الفرس على شعبهم. إن أحداث إيران التاريخيّة و السياسيّة المختلفة تؤثر على فكره و فكر شعبه. و يعتبر أبا بكر الرازي العالم الإيراني الكبير من أسلافه. و يطلب من أهل زمانه و من الأجيال القادمة أن يسيروا على دربه. و الرصافي في قصيدة مطوّلة له - مئة بيت- يمدح الرازي و يصفه. يبدو أنه يؤمن بالتاريخ المشترك و بالإنجازات المشتركة بين الفرس و العرب.

النحفي كان يعرف اللغة الفارسيّة بصورة شاملة و ترجم قسماً من الآثار الفارسية إلى العربيّة و العكس صحيح. و خالط الشعب الفارسيّ و عاش معهم بصفته مترجماً و مدرساً للغة العربيّة. الحّيّام هو مصدر إلهامه، و تأثر بهذا الشاعر تأثراً واضحاً كلّ الوضوح، كما أن أفكار السعدي، بابا طاهر، صائب التبريزي، بروين اعتصامي و ... قد تركت أثرها على هذا الشاعر.

قد سافر الجواهري مراراً إلى إيران و أقام فيها برهة من الزمن، وزار أماكن إيران المختلفة، و كان على معرفة تامّة باللغة الفارسيّة و ترجم بعضاً من الأشعار الفارسيّة إلى العربيّة. إنّه التقى بقائد إيران آية الله الخامنه اي، و قد مدحه مرّات عديدة، و أيضاً له بيت شعر حول الإمام الخميني. و هو ينظر إلى الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة نظرة إجلال و تمجيد. إن أثر الأدب الفارسيّ و تأريخه و ثقافته على أفكاره و آثاره تظهر بصورة قويّة. إنّه يعرف جميع الوجوه القديمة و الحديثة في ساحة الأدب الفارسي مثل: السعدي، الحّيّام، الفردوسي، نظامي، عارف القزويني، ايرج ميرزا و... و يتأثر بهم أشدّ التأثير. الجواهري يدعو الغيورين من الأدب العربي و من يتطلّع منهم إلى التغيير و التطوّر إلى الابتعاد من الاقتباس من روح لندن، باريس، مسكو و روما التي لا تناسب مع روحهم و يدعوهم إلى الاقتراب من الروح الشرقيّة و الطهرانيّة و إلى إنشاء العلاقات مع إيران. إن طبيعة إيران في إيريانياته تحتلّ حيزاً كبيراً في أشعاره. وله عدّة قصائد خصّتها لهذا الموضوع.

يدعو الجواهري إلى تواصل الشعبين الإيراني والعراقي وإنشاء العلاقات بينهما. و يعزى سبب هذه الدعوة إلى قرابة اللغتين الفارسية والعربية و ما بينهما من التمازج في أصولهما و أيضاً التناغم المتنوع الذي تتمتع به كلتا اللغتين في مجال اللغة، والأخلاق، والعادات، والتقاليد المشتركة، و يرى أن ثقافة الشعبين، وتقاليدهما، وطقوسهما، وأخلاقهما متشابهة تماماً. و يشيد الجواهري بنهضات إيران العظيمة، و من وجهة نظره، أحداث إيران لا تخلو من الأثر على العراق و العكس صحيح.

الموامش

جميل صدقي الزهاوي

ولد سنة ١٨٤٣ ببغداد و تعرّف على اللغات العربية، الفارسية و التركية خير معرفة. أكبّ الشاعر على القراءة بصورة دؤوبة، و تمكّن من خلالها أن يحصل على كثر زاهر من الفكر و الأدب. أصبح الزهاوي عضواً لمجلس المعارف في ولاية بغداد سنة ١٨٨٤م؛ و صار نائباً لأبناء بغداد. شارك الزهاوي، سنتين قبل وفاته، بصفته ممثلاً عن العراق في مؤتمر الفردوسي الذي أقيم في مدرسة دار الفنون بطهران، و من خلال هذا المؤتمر، كان له مباحثات و مناقشات كثيرة مع صديقه الحميم ملك الشعراء بهار (الشهرستاني، ١٣٥٧: ٥٥)، و في فترة الاجتياح البريطاني للعراق، تمّ تعيينه عضواً لمجلس المعارف ببغداد و رئيساً للجنة ترجمة القوانين العثمانية، و كان من أعضاء الدائمة لمجلس الشيوخ و الأعيان في العراق، إلى أن إنتقل إلى عرش بارئه سنة ١٩٣٦ (الفاخوري، ١٩٨٦: ٤١٣).

له آثار و كتابات في مجالات مختلفة منها: ١- رباعيات الحيام، ترجمة شعرية و نثرية لرباعيات الحيام، تمّ طبعها سنة ١٩٢٨ ببغداد. ٢- ستة دواوين شعرية.

معروف عبدالغني رصافي

ولد ببغداد سنة ١٨٧٥م و تنحى عن العمل الحكومي سنة ١٩٢٨م، و اختير نائباً لمجلس الشورى، توفي سنة ١٩٤٥م (الفاخوري، ١٩٨٦: ٤٨٥-٤٨٧) أمّا من جانب المواضيع الشعرية، يمكن جعل أشعاره في خانة الأشعار الاجتماعية و القصصية و الوصفية و أشعار الحكم. يتطرق الرصافي في أشعاره الاجتماعية إلى العلم و الجهل، الدين، المرأة، الحرية، الفقر و مأساة المجتمع. و له أعمال كثيرة في حقل اللغة و الأدب، أبرزها الديوان الشهير المسّمى «بالرصافيات».

احمد الصافي النجفي

ولد في النجف سنة ١٨٩٤ (كامبل، ١٩٩٦: ١٣٠٢)، كان قد بدأ الاستعمار البريطاني بيجيم بظلاله على المعارضين؛ فيما كان المعارضون و المناضلون يستعدّون لرصّ صفوفهم أمام الاستعمار القديم و ذلك من خلال

اجتماع في بيت عائلة الصافي بقيادة الشيخ عبد الكريم الجزائري؛ فعشيّة هذا الاجتماع كلّف الحاكم العسكري ببغداد حاكم مدينة نجف بإلقاء القبض على الثوّار و من يشجّع و يدعم هذا الاجتماع، و الصافي الذي كان من ضمن الثوّار، هرب مع صديقه في ظلام الليل إلى إيران. دخل إلى كرمانشاه و من ثمّ انتقل إلى طهران. و لم يكن ممّن يريد هدر وقته؛ فلهذا أكبّ على تعلّم اللغة الفارسيّة و بدأ يدرّس اللغة العربيّة في المدارس الإلعداديّة، و بعد أن تعلّم اللغة الجديدة، صار عضواً لآتحاد اللغة الفارسيّة و آدابها، كما أصبح عضواً لدار الترجمة و دار النشر. و الشاعر قد قام بترجمة كتاب ربايعات الخيّام إلى اللغة العربيّة كما ترجم كتاب علم النفس لعلي الجارم و أحمد أمين إلى الفارسيّة لتدريسه في دار المعلّمين و ذلك في فترة إقامته بإيران. و عاد من لبنان إلى العراق في كانون الثاني من سنة ١٩٧٦ و انتقل إلى رحمته تعالى عام ١٩٧٧م بعد عمر يناهز ٨٠ سنة. تنقسم آثاره إلى قسمين: ١. الآثار المترجمة و المقالات؛ تشتمل على ربايعات الخيّام، صفحات من الأدب الفارسيّ. ٢. الشعر: الإمواج، الأشعة الملوّنة، الأغوار، النّيار، ألحان اللهب، الهواجس، الشرر، اللفحات، الشلال.

محمد مهدي الجواهري

ولد الجواهري سنة ١٩٠٠ م في عائلة علميّة و أدبيّة بمدينة النجف التي كانت آنذاك مركزاً دينياً و أدبياً و حصل على اللقب (الجواهري) من قبل الشيخ محمّد حسن صاحب (جواهر الكلام). و بدأ ينشد الشعر منذ نعومة أظفاره . (الفاحوري، ١٩٨٦: ٥٠٧) لم يكن الجواهري يتجاهل الأحداث السياسيّة و الاجتماعيّة التي كانت تقع في بلده العراق و غيرها من الدول العربيّة و الإسلاميّة. إنّ أثر الثقافة و التاريخ و الأدب و الطبيعة لإيران يكون بيّنا في أفكاره و إبداعاته. كان يعرف اللغة الفارسيّة خبير المعرفة، و قد سافر إلى إيران في العشرينات مرّتين؛ سنة ١٩٢٤م و سنة ١٩٢٦م، و الرحلة الثالثة كانت سنة ١٩٩٢م؛ و ذلك لقضاء العطلة الصيفيّة و للإقامة فيها. من أهمّ آثاره: ديوانه و ذكريّاتي.

المصادر و المراجع

- آذرشب، محمد علي؛ سؤالان حول الادب الفارسي و جواب الجواهري و سيد قطب، مجلة ثقافة التقريب، العدد التجريبي الاول، ربيع الثاني، ١٤٢٧.
- _____؛ الشعر وفضة الشعور، تهران، الهدى، ١٤٢٧.
- آذرنوش، آذرتاش؛ چالش میان فارسی و عربی، تهران، نشر نی، ١٣٨٥.
- اعتصامي، پروين؛ کلیات دیوان پروین اعتصامی، تهران، کتاب نمونه، بی تا.
- الکلک، ویکتور، تاثیر فرهنگ عرب در اشعار منوچهری با مقدمه محمدی، بیروت، دارالمشرق، ١٩٨٦م.
- بابا طاهر، عريان همدانی؛ دیوان بابا طاهر، انتشارات اقبال، تهران، ١٣٨٥.

- برهومي، خليل، احمد الصافي النجفي شاعرالغربة و الأُم، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣ .
- بهار، محمد تقى؛ ديوان اشعار محمد تقى بهار (ملك الشعراء) تهران، انتشارات توس، ١٣٦٨ ش .
- تيريزى، صائب؛ كليات صائب تيريزى، با مقدمه ى عباسى، محمد، تهران، انتشارات جواهرى، ١٣٧٤ .
- الجواهرى، محمد مهدى؛ ديوان، جمع و تحقيق و نظارت: دكتور ابراهيم السامرى، دكتور مهدى مخزومى، دكتور على جواد طاهر، رشيد بكتاش، مطبعة الاديب البغداديه، ١٩٧٣م.
- حافظ شيرازى، شمس الدين محمد؛ ديوان غزليات حافظ، به كوشش رهبر، خطيب، تهران، انتشارات صفى على شاه، ١٣٤٧ .
- خيام، عمر؛ بررسى انتقادى رباعيات خيام، كريستين سن، آرتو، تهران، انتشارات طوس، چاپ اول، ١٣٧٤ .
- خيام، عمر؛ رباعيات خيام، از نسخه ى محمد على فروغى و قاسم غنى، تهران، انتشارات گنج، چاپ دوم، ١٣٥٧ .
- ديوان بيگى شيرازى، سيد احمد؛ حديقه الشعر، صحيح: عبدالحسين نوايى، تهران، انتشارات زرين، ١٣٦٥ .
- الرشودى، عبدالحميد؛ الزهاوى: دراسات و نصوص، بيروت، مكتبة الحياه، ١٩٦٦ .
- الرصافى، معروف عبدالغنى؛ ديوان الرصافى، بيروت، دارالمنظر، ١٩٩٩ .
- زرين كوب، عبدالحسين؛ نقد ادبى، چاپ ششم، تهران، جلد اول و دوم، امير كبير ١٣٧٨ .
- الزهاوى، جميل صدقى؛ ديوان جميل صدقى الزهاوى، الجزء الأول الكلم المنظوم- الرباعيات، عنى بشره و ترتيبه محمد يوسف نجم، دار مصر للطباعة لا. ت.
- _____؛ ديوان جميل صدقى الزهاوى، دارالعلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣ .
- _____؛ اللباب، بغداد، مطبعة الفرات، الطبعة الأولى، ١٩٢٨ م .
- سعدى، مصلح الدين؛ كليات سعدى، تصحيح اجتماعى جندقى، كمال، تهران، انتشارات سخن، ١٣٨٥ .
- الشهرستانى، صالح؛ شخصيات ادركتها، اخرجه الشهرستانى، قاهره، عباس، ١٣٥٧ .
- غنيمى هلال، محمد؛ ادبيات تطبيقى، ترجمه ى سيد مرتضى آيت الله زاده شيرازى، تهران، امير كبير، چاپ اول، ١٣٧٣ .
- الفاخورى، حنا؛ الجامع فى الادب الحديث، دارالجيل، بيروت، ١٩٨٦م .
- _____؛ خطاب الاب حنا الفاخورى، مجلة الدراسات الادبية، السنة الثانية، العددان ٥ و٦، ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ .
- محمدى، محمد؛ درس اللغة والادب، دانشگاه تهران، انتشارات آگاه، ١٩٩٨ .
- مطهرى، مرتضى، خدمات متقابل اسلام و ايران، تهران، شركت انتشار، ١٣٤٩ .
- المعوش، سالم؛ احمد الصافي النجفي حياته من شعره، لبنان، مؤسسة بحسون، ٢٠٠٦ .

- ناجي، هلال؛ الزهاوى ديوانه المفقود، قاهره، دارالعرب، ١٩٢٩.
- النحفي، احمد الصافي؛ بي تا، ألخان اللهيبي، دمشق، مطبعه اليقظه العربيه، لا.ت.
- _____؛ اللباب، بغداد، مطبعه الفرات، الطبعه الاولى، ١٩٢٨ م.
- _____؛ اللفحات، بيروت، مكتبه المعارف، ١٩٨٣.
- _____؛ هواجس، بيروت، مكتبه المعارف، ١٩٨٣.
- يار شاطر، احسان و ديگران؛ حضور ايرانيان در جهان اسلام، مجموعه مقالات سيزدهمين كنفرانس جور جولوى دلاويدا، ويواستهى ريچارى هوانسيان و جورج صباغ؛ ترجمه فريدون بدرهائى؛ مركز باز شناسى اسلام ايران، تهران، ١٣٨١.
- اليسوعى، روبرت كامبل؛ أعلام الأدب العربى الحديث، بيروت، مركز الدراسات للعالم العربى المعاصر، جامعة القديس يوسف، ١٩٩٦ م.
- _____؛ أعلام الأدب العربى المعاصر، بيروت، جامعه القديس يوسف، ١٩٦٦ .

زبان و ادبیات فارسی از منظر چهار شاعر بزرگ عراق

مهرعلی یزدان پناه^۱

چکیده

ارتباط تاریخی ایرانیان و اعراب، چه قبل از اسلام و چه بعد از آن، بر اهل تحقیق پوشیده نیست. جریان تأثیر و تأثر متقابل این دو ملت، عمری به درازای این ارتباط و جنبه‌های گوناگون آن دارد. ادبیات تطبیقی در صدد کشف و توصیف و تحلیل چنین ارتباطاتی است. زبان و ادبیات فارسی و مفاخر آن، همواره، منشاء تأثیرگذاری در ادب عربی بوده و از جایگاه بس بلندی نزد اعراب، به ویژه، اندیشمندان و ادبای بزرگ آن‌ها برخوردار بوده است. به نظر می‌رسد، پژوهش تطبیقی درباره‌ی عراق، به عنوان کشور همسایه، با توجه به اشتراکات گسترده‌ی فرهنگی، اعتقادی، تاریخی و ...، خالی از فایده نباشد. زبان و ادبیات فارسی از دیدگاه شعرای مورد نظر این پژوهش (زهاوی، رصافی، نجفی و جواهری) از جایگاه بسیار رفیعی برخوردار است و منبع الهام بسیاری از آن‌هاست. بیشتر آن‌ها خود را ملزم به یادگیری زبان فارسی می‌دانند. ادبیات فارسی نزد آن‌ها همسنگ ادب عرب، بلکه به روح عربی نزدیک‌تر است. در پس‌زمینه و پیش‌زمینه‌ی آثار آن‌ها هیچ ستیزی با زبان و ادب و قومیت ایرانی یافت نمی‌شود. نقش ارتباطات دوستی برخی از شعرای عراقی و ایرانی و سفرها و اقامت‌های آن‌ها در ایران، در عمیق‌تر شدن این تأثیرها، قابل تأمل است.

این مقاله به روش توصیفی و تحلیلی، در پی پاسخ دادن به این پرسش است که: دیدگاه شاعران مورد نظر این پژوهش درباره‌ی جایگاه زبان و ادب فارسی و مفاخر علمی و ادبی ایران چیست؟

کلیدواژه‌ها: زبان و ادبیات فارسی، شاعران عراق، تأثیر و تأثر، ادبیات عربی.

۱. استادیار دانشگاه آزاد اسلامی، واحد قائم شهر، گروه زبان و ادبیات فارسی، قائم شهر، ایران.